

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[296] وقد أظهر عدوانه مُنذ اليوم الأوّل لأبيكم آدم (عليه السلام). فاتّخذ الشيطان وأولاده. بدلا من الخالق المتعال أمرٌ قبيح: (بئس للطالمين بدلا) (1). حقّاً إنّ زّنهُ لأمر قبيح أن يترك الإنسان الإله العالم الرحيم العطوف ذا الفيوضات والرحمات والألطف، ويتمسك بالشيطان وأصحابه، إنّ زّنهُ أقبح إختيار، فأى عاقل يقبل أن يتخذ من عدوّه الذي ناصبهُ العدااء - مُنذ اليوم الأوّل ولياً وقائداً ودليلاً ومعتمداً؟! الآيه التي بعدها هي دليل آخر على إبطال هذا تصوّر الخاطيء، إذ تقول: عن إبليس وابنائهم أن زّهم لم يكن لهم وجود حين خلق السماوات والأرض، بل لم يشهدوا حتى خلق أنفسهم: (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم). حتى نطلب العون منهم في خلق العالم، أو نطلعهم على أسرار الخلق. لذا فإنّ الشخص الذي ليس له أي دور في خلق العالم، وحتى في خلق مَنْ يقع على شاكلته ومَنْ هو من نوعه، ولا يعرف شيئاً من أسرار الخلق، كيف يكون مستحقاً للولاية، أو العبادة، وأي قدرة أو دور يملك؟ إنّ زّنهُ كائن ضعيف وجاهل حتى بقضاياها الذاتية، فكيف يستطيع أن يقود الآخرين، أو أن ينقذهم من المشاكل والصعوبات؟ ثمّ تقول: (وما كنت مُتخذ المضلّين عضداً). يعني أنّ الخلق قائم على أساس الصدق والصحة والهداية، أمّا الكائن الذي يقوم منهج حياته على الإضلال والإفساد، فليس له مكان في إدارة هذا النظام، لأنّ زّنه يسير في اتجاه معاكس لنظام الخلق والوجود؛ إنّ زّنهُ مخرب ومدمّر وليس مُصلحاً متكاملاً. آخر آية من الآيات التي نبحثها، تحذّر مرّة أخرى، وتقول: تذكروا يوماً يأتي _____ 1 - "بدلا" من حيث التركيب اللغوي، تمييز. وفاعل "بئس" هو الشيطان وعصايته، أو عباد الشيطان وعصايته.